

«في انتظار غودو» مسرحية تستلهم الوجد الإنساني وتحتفي بالذي لا يأتي

31 عاما مرت على رحيل الأيرلندي الذي دك عروش الأدب التقليدي وكتب فأوجع



فن التحدث عن الملل بتسليية عالية تقتل الملل

الحرية في التصرف والاقتراب منها والنسج على منوالها، لكن الأصل التجاري يبقى للأيرلندي الشهير بيكيت، الذي اتصف القراء والمتفرجين بروائع على شاكله "نهاية اللعبة" و"شريط كراب الأخير" و"مسرحية الصامتة".

أحب بيكيت، اللغة الفرنسية التي تذكره بـ"رائحة الغربة" وكتب بها أيضا من أجل "التخلص من تلقائية استخدام اللغة الأم كحالة جهورية".



كان جون هاينز، من أهم المصورين الذين تعاملوا مع بيكيت، صور له صورة استعملت بعد ذلك غلافًا للمسيرة الذاتية التي كتبها "نولسون" عنه. كما قام بتصوير بروفات في مسرح الديوان الملكي "روبال كورت" في لندن. وفي الاحتفال بالذكرى المئوية لبيكيت عام 2006 قام البنك المركزي في أيرلندا بسك قطعة العشرين من النقود الذهبية. وجمعت تلك القطع النقدية بين وجه بيكيت والغلاف الخاص بالمشرحية الأكثر شهرة له "في انتظار غودو".

كان بيكيت رجلا يحتفي بالحدادة وشديد الاهتمام بالفنون البصرية مما جعل الكثيرين من الميردين يتلقون حوله، وتأثر به العديد من الكتاب، لذلك اعتبره النقاد مفكرا وفيلسوفًا أكثر منه أديبا ومسرحيا.. وهو ما تفتته كتابات جان بول سارتر وسيمون ديوبوفوار، وحتى انتقادات جورج لوكتاش في كونه لم يول الفلسفة حقها في كتاباته وهو الجدير بهذا اللقب.

وفلاذيمير، يتواصلان مع بعضهما عبر ثرثرة غير مفهومة عن "غودو"، الذي لن يأتي، مضيفا أنه "نقاش غير مثمر؛ إذ أن الشخصيتين مختلفتان، فاستراغون شخص لا يهتم إلا بالطعام والنوم، وغالبا ما يتعرض للاعتداء والضرب أثناء الليل من قبل أشخاص لا يعرفهم، أما فلاذيمير فهو يميل نحو التفكير والتأمل في الأشياء، فعقله في نشاط دائم".

ظل هذان الأثنان على هذه الحالة روحا من الزمان، وفكرا كثيرا أن ينفصلا عن بعضهما غير أنهما فشلوا في ذلك، كما أن هناك شيئا مهما يجمعهما، رغم تلك الفروقات الكبيرة في تكوينهما الشخصي، فهما في انتظار من يخلصهما من عذاباتهما، وهكذا الحال بالنسبة إلى بقية الشخصيات، فمنهم من ينتظر ومنهم من يفكر في الانتحار فيعجز، وهكذا يستمر العرض وفق هذه السبيلة.

لا توجد عند بيكيت حبكة بالمفهوم التقليدي للعبارة، فالحدث هو ما لا يحدث، وربما يصبح "ما لا يحدث هو أفضل الأحداث وفق التعبير الإنجليزي"، ذلك أن بيكيت قد لوى عنق الحكاية وتمرد على أسلافه في طرق السرد الكلاسيكي، وهو ما أكسبه شهرة بعد موجات من الغضب والاستهجان في الأوساط الأدبية والنقدية.

لذلك لم يكن غريبا أن تترجم المسرحية إلى مختلف لغات العالم، بل وقدمت في عروض خاصة لفاقد السمع والبصر وغيرهم من ذوي الاحتياجات الخاصة، وذلك لعق وكونية فكرتها، كما أنها صارت مصدر إلهام ومنطلق للعديد من المسرحيات التي نسجت على منوالها. وتجادل النقاد في ما بينهم حول دلالات الأسماء والشخصيات حتى ذهب بعضهم إلى القول إن "غودو هو 'غدا' أو 'الله' باللغة الإنجليزية".

وتفتحه جميع المجتمعات والأوساط العامة والشعبية في التعبير عن فقدانها للأمل بعبارة "في انتظار غودو" أو ببعض الكلمات والحوارات الدائرة بين فلاذيمير واستراغون، كما ألف عاصي ومنصور الرجباني مسرحية "الشخص" المستوحاة من رائعة بيكيت، مع الحفاظ على قيمة الانتظار كما فعل الشاعر المصري أمل دنقل في عمل مشابه قامت بطولته المغنية الأوبرالية عفاف راضي. أما الترجمة الساخرة للمسرحية فهي ما فعله مخرج مسرحي تونسي في كوميديا "في انتظار قدورة" واسم "قدورة" وهو نصغير ملطف بالعامية التونسية لعبد القادر، الذي ينتظره صديقه من أجل تذكرة حضور مباراة كرة قدم، ولا يأتي.

"في انتظار غودو" دخلت الإرث العالمي والإنساني فأصبح لكل شخص

ينتظر الأثنان غودو مرة أخرى، أثناء إلهاء نفسيهما عن طريق تقليديهما الهزلي للسيد والعبد (بوزو ولاكي)، وإطلاق إهانات على بعضهما البعض ومن ثم الإكسال، ومحاولة القيام ببعض من روتينيات اللياقة البدنية والتي سرعان ما تنتهي، وتفشل فشلا ذريعا.

المفاجآت كثيرة في المسرحية التي يصفها بعضهم بأنها مملّة، ذلك أن السيد والعبد يظهران مجددا على الخشبة، ليقدّم بوزو على أنه ضعيف البصر بينما يصبح لآكي أحرسا، لتتوالى السرديات وتتناقل ضمن ثنائية السيد والعبد، كما يراها بيكيت في منظوره التاملي الأسر.

يذهب صاحب "في انتظار غودو" أبعد من ذلك بكثير، إذ يزعم بوزو، أنه فقد كل إحساس بالوقت، ويؤكد للأخريين أنه لا يمكنه أن يتذكر أنه قابلهم من قبل، وهو لا يتوقع أيضا تذكر أحداث اليوم في الغد. يبدو أن غطرسته وزيغته القيادية اللتين بدتا في الأمس قد حل التواضع والطفلة محلها. تكون كلمات فراقه، التي يتوسع فيها فلاذيمير لاحقا، كلمات يأس مطلق. ينصرف لآكي وبوزو. في غضون ذلك، يغط استراغون مرة أخرى في النوم.

يأتي صبي ليخبر بان غودو لن يأتي اليوم، لكنه سيصل غدا بالتأكيد.. هكذا يمسك بيكيت بخيوط الأحداث التي لم تحدث، وينسج فكر فلسفي شديد العمق والإثارة والتوثيق، ذلك أنه يمزج بين أمل ميثوس منه، ويأس مأمول منه، ضمن لعبة مسرحية أسرة ظلت أحجية لكل عشاق مسرح العبد.

عبث بيكيت بالوقائع والأحداث إلى درجة المنطق، واستطاع الأيرلندي العبقري أن يزاوج بين الواقع والأحداث في عمل أدبي أخذ كتبه في السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية وأثر في أجيال بأكملها.

الفكاهة السوداء

تحدث النقاد من بعده بقولهم إنه "من أهم ما يميز أعمال بيكيت أنها بسيطة وجهرية". ووفقا لبعض تفسيراته، أنه كلما كان يكتب أعماله وفقا للإنسان المعاصر كان بالفعل يميل إلى التشاؤم. نجح بيكيت في شرح هذا التشاؤم بأسلوب "الفكاهة السوداء" في أعمال اتسمت بالإيجاز والاختصار.

وتحدث عنه الناقد علاء الدين محمود بقوله "بيكيت يمارس لعبته المفضلة في مخالطة ولع الناس بالجديد، فالديكور فقير ويقوم على طريق ليس فيه غير شجرة يابسة تشير إلى بؤس الإنسان وعذابه المستمر، وتحت الشجرة التي لا ظل لها يتكى كل من استراغون

وعلى مسافة من الأثنان تقرب شجرة جرداء وكانها شخصية ثالثة، وقد دخلت هذه الشجرة الميثولوجيا الشعبية إلى درجة أن الباريسيين يعرفونها اليوم باسم "شجرة غودو" في ضاحية سان دوني. إنه العبد ولا شيء يحدث غير العبد.

علاقة السيد بالعبد

لا أحد قادر في تاريخ الأدب المسرحي على إيصال الملل دون ملل، غير بيكيت، إذ يتنافس الفيلسوف فلاذيمير والعامي استراغون، في التعبير عن الملل بطرق مبتكرة، وغاية في الواقعية من حيث الاحتجاجات البيولوجية التي تكشف عنها حالات مثل الرغبة في التبول أو الأكل أو الثرثرة كقيمة في حد ذاتها.

لا شيء يقطع هذه الرتبة غير التفكير في الانتحار تحت الشجرة العارية الذي تمنعه أسباب لوجستية، لكن حدثا واحدا يحصل وكأنه لم يحصل، وهو اقتحام سيد وعبد (بوزو ولاكي) المكان.. ونقف على إثره عند حقائق فلسفية تعيدنا إلى حقيقة علاقة السيد بالعبد، مما يذكرنا بأساطير إيسوب، حول المنافس المعرفي في مسرحية "العنب الحامض" لغيليرمييه فيويريدو.

وفي الفصل الثاني يغني فلاذيمير المتلبس في هيئة فيلسوف رث الثياب وغريب الأطوار كما اليوناني ديوجين، باغنية ينسج في كل مرة كلماتها، وتحدث عن وفاة كلب، بينما تعود للشجرة العارية كلماتها ويتحدث رفيقه استراغون عن تعرضه البارحة للتعنيف والتعذيب دون أن يظهر ذلك في جسده. هنا يبدو واضحا لدى بيكيت، الشغل على السروح والشاعر، والولوج في التعبيرات العميقة التي يتماهى فيها الخاص مع العام، إذ أن بيكيت عندما بدأ الكتابة لم يكن لديه تحيلٌ مثير للصورة الذهنية لفلاذيمير واستراغون في نظر النقاد والدارسين. ولم يُنشر الكاتب إلى فلاذيمير واستراغون أبدا في النص على أنهما متشردان، على الرغم من أنه غالبا ما أشير إلى ذلك بالأزياء على المسرح.

وفي تحدٍ عبقرى للزمن والاستهجان به، من قبل بيكيت، يعرض فلاذيمير منتصرا دليلا على أحداث اليوم السابق من خلال إظهار استراغون للرجح جراء ركل لآكي. يلاحظان قديمي استراغون العاريين، ويكتشفان أيضا أحذية مهملة سابقا في مكان قريب، والذي يصر استراغون على أنها ليست له على الرغم من أنها تناسب قدمه تماما. كما أن قبعة العبد لاكي لا تزال على الأرض.

يؤدي هذا إلى إيقاف استراغون وإشراكه في مشهد مبادلة القبعة المؤثر.

ثلاثة عقود تمر على غياب المفكر والكاتب المسرحي صمويل بيكيت، الذي لا تزال البشرية تحفظ له أروع ما قدم في مسرح العبد وهي رائعة "في انتظار غودو". وتكشف المسرحية أزمة الإنسان المعاصر المتمثلة في لا جدوى انتظار المخلص، ضمن مناخ سوداوي يغلفه صاحبه بكوميديا تسخر من وحدة المكان والزمان والحدث بلغة هجينة عديمة الفائدة.

ويقسّم الدارسون والنقاد أعمال

بيكيت إلى ثلاثة أقسام. أولا: الأعمال المبكرة وهي تلك الأعمال التي أنتجها حتى نهاية الحرب العالمية الثانية عام 1945.

ثانيا: المرحلة المتوسطة وهي تلك الأعمال التي مثلت أفضل أثاره والتي عرفت في الفترة 1945 حتى بداية عام 1960. ثالثا: المرحلة الأخيرة وهي الأعمال التي ظهرت في الفترة ما بين 1960 حتى وفاته. وفي هذه المرحلة امتازت كتاباته بالنضج الفني والأدبي وبالقصص في الكتابة.

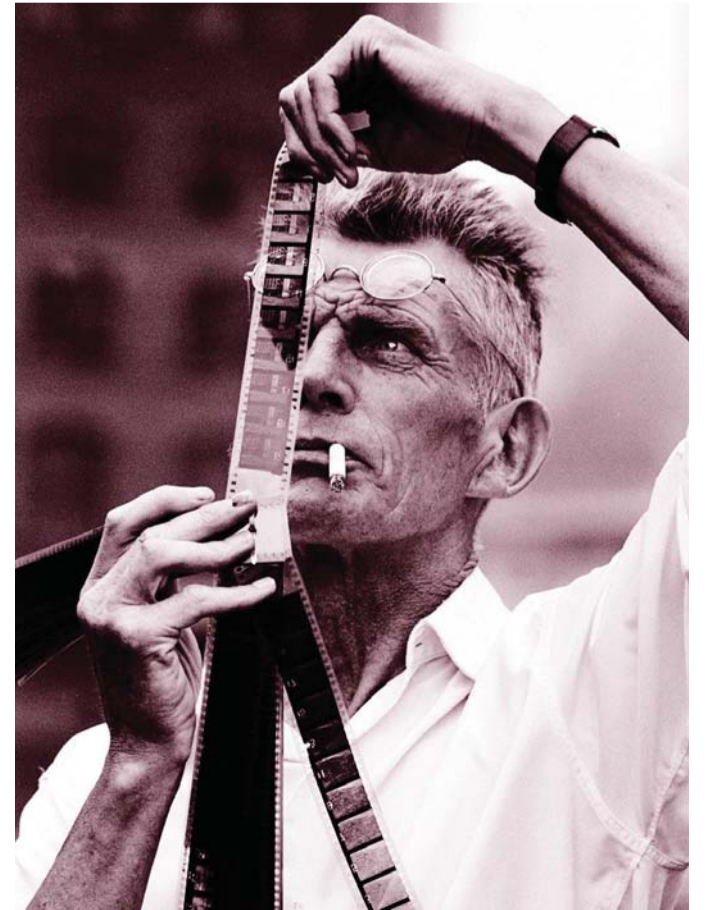
كانت جميع حقوق النشر لمسرحيات بيكيت محفوظة من قبل ابن أخيه المخرج المسرحي إدوارد بيكيت الذي اشتهر بتنظيمه الصارم للكيفية التي ستعرض بها المسرحيات للجمهور، فلا يسمح بالإخراج الضعيف الذي لا يتوافق مع قوانين المسرح في مسرحيات بيكيت.

ثلاثة عقود مرت على رحيل صاحب المسرحية الأشهر في تاريخ البشرية، والأكثر إلهاما لمن جاء بعده من راكبي موجة العبد واللاجدوى، لتبقى "في انتظار غودو" محطة يستظل تحتها كتاب التجريب ومحاورو الملل، كما استظل "فلاذيمير" و"استراغون" في انتظار "غودو" الذي لن يأتي.. وربما أتى ولم ينتبه إليه أحد.

الحادثة التي أبهرت ولا تزال تثير القراء والمتفرجين، هي بسيطة وفي غاية التعقيد والإرباك: شخصان ينتظران ثالثا. ويبدو السام سيد الموقف.. إنهما في الحديث عن الملل بتسليية عالية تقتل الملل. ففي الفصل الأول تفتتح المسرحية على مشهد خارجي لشخصين رثي الهيئة، الفيلسوف فلاذيمير واستراغون المرقق، الذي لا يمكنه خلع حذاءه من قدميه المتورمتين ويهيمهم بعبارة غامضة "لا مجال لفعل شيء".

يستغرق فلاذيمير في التفكير بشكل متعال، بينما يتذكر استراغون. وفي حالة تشبه الهذيان - أنه تعرض للضرب في الليلة السابقة. أخيرا، يُخرج حذاءه، بينما يتجول قرينه ويتساحر بلا فائدة.

وفي اللحظة التي يقرر فيها استراغون، المغادرة، يُذكره فلاذيمير، بأنه يجب عليهما البقاء وانتظار شخص غير محدد يسمى غودو، وهو جزء من الحوار الذي يتكرر كثيرا. ويا لسوء التقدير والحظ والتوافق إذ لا يمكن للقرنين أن يتفقا على الزمان، والمكان المتوقع أن يلتقيا فيه بـ"غودو".



بيكيت زواج بين شكسبير ومولير وأسس لمسرح العبد

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي



أحيا العالم منذ أيام الذكرى الواحدة والثلاثين لرحيل واحد من أكثر الكتاب جدلا في الأدب والمسرح.. إنه صمويل بيكيت، الأيرلندي الذي اقترن اسمه بمسرح العبد والحائز على جائزة نوبل للأدب عام 1969.

صادف يوم ميلاده "الجمعة العظيمة" في شهر أبريل من سنة 1906 واقترب يوم رحيله من ذكرى الميلاد في 22 ديسمبر 1989 بباريس التي أحبها وكتب معظم أعماله بلغتها.. وهو أمر نادر لدى الناطقين بلغة شكسبير.

بيكيت لوى عنق الحكاية وتمرد على أسلافه في طرق السرد الكلاسيكي، وهو ما أكسبه شهرة بعد موجات من الغضب والاستهجان

حصل بيكيت على شهادته الجامعية من نفس الجامعة التي تخرج فيها مواطنه الأيرلندي أوسكار وايلد (ترييني) وكتب معظم وأشهر أعماله بلغة مولير، بعد الحرب العالمية الثانية، وتحديدا في خمسينيات وستينيات القرن الماضي حيث لاقي "مالوي" أول كتاب ينشره، إعجاب النقاد الفرنسيين على الرغم من عدم تحقيقه الكثير من المبيعات، أما مسرحية "في انتظار غودو" فقد حققت نجاحا سريعا حين تم عرضها في مسرح "بابيلون" واندثنت لها الجميع محقة له شهرة عالمية لم يكن يحلم بها أبناء جيله.

السأم سيد الموقف

لأن "في انتظار غودو" هي أكثر أعماله شهرة وسطوة وتأثيرا، فلا بد من التذكير بأن بيكيت قد وضع كتبا ليست أقل قيمة منها مثل "اللوثيرا"، "نهاية اللعبة"، "رواية مالوي"، "مالون يموت"، "غير قابل للتسمية"، "ميرسييه وكاميرا"، بالإضافة إلى مجموعتي قصص قصيرة وكتاب في النقد.